

عن قبح اللوطية وانعكاس الفطرة

الكاتب: ابن القيم



قَالُوا: وَمَنْ تَأْمَلْ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ: {وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} [سُورَةُ الْأَسْرَاءِ: 32].
 وَقَوْلُهُ فِي اللَّوَاطِ: {أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ} [سُورَةُ الْأَعْرَافِ: 80].

تَبَيَّنَ لَهُ تَفَاوُتُ مَا بَيْنَهُمَا، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ نَكَرَ الْفَاحِشَةَ فِي الزَّيْنِ، أَيْ هُوَ فَاحِشَةٌ مِنَ الْفَوَاحِشِ، وَعَرَّفَهَا فِي اللَّوَاطِ، وَذَلِكَ يُفِيدُ أَنَّهُ جَامِعٌ لِمَعَانِي اسْمِ الْفَاحِشَةِ، كَمَا تَقُولُ: زَيْدٌ الرَّجُلُ، وَنِعْمَ الرَّجُلُ زَيْدٌ، أَيْ أَتَأْتُونَ الْخِصْلَةَ الَّتِي اسْتَقَرَّ فُحْشُهَا عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ، فَهِيَ لِظُهُورِ فُحْشِهَا وَكَمَالِهِ غَنِيَّةٌ عَنِ ذِكْرِهَا، بِحَيْثُ لَا يَنْصَرَفُ الْإِسْمُ إِلَى غَيْرِهَا، وَهَذَا نَظِيرُ قَوْلِ فِرْعَوْنَ لِمُوسَى: {وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ} [سُورَةُ الشُّعْرَاءِ: 19].
 أَيْ الْفَعْلَةُ الشَّنْعَاءُ الظَّاهِرَةُ الْمَعْلُومَةُ لِكُلِّ أَحَدٍ.

ثُمَّ أَكَّدَ سُبْحَانَهُ شَأْنَ فُحْشِهَا بِأَنَّهَا لَمْ يَعْمَلْهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ قَبْلَهُمْ، فَقَالَ: {مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ}، ثُمَّ زَادَ فِي التَّأَكِيدِ بِأَنَّ صَرَخَ بِمَا تَشَمَّرُ مِنْهُ الْقُلُوبُ، وَتَبَوَّعَتْهُ الْأَسْمَاعُ، وَتَنَفَّرَ مِنْهُ الطَّبَاعُ أَشَدَّ نَفْرَةً، وَهُوَ إِيْيَانُ الرَّجُلِ رَجُلًا مِثْلَهُ يَنْكِحُهُ كَمَا يَنْكِحُ الْأُنْثَى، فَقَالَ: {إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ} [سُورَةُ الْأَعْرَافِ: 81].

ثُمَّ نَبَّهَ عَلَى اسْتِغْنَائِهِمْ عَنِ ذَلِكَ، وَأَنَّ الْحَامِلَ لَهُمْ عَلَيْهِ لَيْسَ إِلَّا مُجَرَّدَ الشَّهْوَةِ لَا الْحَاجَةَ الَّتِي لِأَجْلِهَا مَالَ الذَّكَرِ إِلَى الْأُنْثَى، وَمِنْ قَضَاءِ الْوَطْرِ وَلَدَّةِ الْإِسْتِمْتَاعِ، وَحُصُولِ الْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ الَّتِي تَنْسَى الْمَرْأَةَ لَهَا أَبْوَيْهَا، وَتَذْكُرُ بَعْلِهَا، وَحُصُولِ النَّسْلِ الَّذِي هُوَ حِفْظُ هَذَا النَّوْعِ الَّذِي هُوَ أَشْرَفُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَتَحْصِينِ الْمَرْأَةِ وَقَضَاءِ وَطْرِهَا، وَحُصُولِ عِلَاقَةِ الْمَصَاهِرَةِ الَّتِي هِيَ أُخْتُ

النَّسَبِ، وَقِيَامِ الرَّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ، وَخُرُوجِ أَحَبِّ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ مِنْ جَمَاعِهِنَّ
كَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَمُكَاتَرَةِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْأَنْبِيَاءِ
بِأَمْتِهِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَصَالِحِ النِّكَاحِ، وَالْمَفْسَدَةِ الَّتِي فِي اللُّوَاطِ تُقَاوِمُ ذَلِكَ
كُلَّهُ، وَتُرَبِّي عَلَيْهِ بِمَا لَا يُمَكِّنُ حَضْرَ فَسَادِهِ، وَلَا يَعْلَمُ تَفْصِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ.

ثُمَّ أَكَّدَ قُبْحَ ذَلِكَ بِأَنَّ اللُّوَاطِيَّةَ عَكَسُوا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهَا الرَّجَالَ،
وَقَلَّبُوا الطَّبِيعَةَ الَّتِي رَكَّبَهَا اللَّهُ فِي الذُّكُورِ، وَهِيَ شَهْوَةُ النِّسَاءِ دُونَ الذُّكُورِ،
فَقَلَّبُوا الْأَمْرَ، وَعَكَسُوا الْفِطْرَةَ وَالطَّبِيعَةَ فَاتَّوَا الرَّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونَ النِّسَاءِ،
وَلِهَذَا قَلَبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ دِيَارَهُمْ، فَجَعَلَ عَالِيَهَا سَافِلَهَا، وَكَذَلِكَ قَلَّبُوا هُمْ،
وَنُكِّسُوا فِي الْعَذَابِ عَلَى رُؤُوسِهِمْ.

ثُمَّ أَكَّدَ سُبْحَانَهُ قُبْحَ ذَلِكَ بِأَنَّ حَكَمَ عَلَيْهِمْ بِالْإِسْرَافِ وَهُوَ مُجَاوِزَةُ الْحَدِّ، فَقَالَ:
{ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ } [سُورَةُ الْأَعْرَافِ: 81].

فَتَأَمَّلْ هَلْ جَاءَ مِثْلُ ذَلِكَ أَوْ قَرِيبٌ مِنْهُ فِي الزُّنَى؟

وَأَكَّدَ سُبْحَانَهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: { وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ }
[سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ: 74].

ثُمَّ أَكَّدَ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ الذَّمَّ بِوَصْفَيْنِ فِي غَايَةِ الْقُبْحِ فَقَالَ: { إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا }
[سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ: 74].

وَسَمَّاهُمْ مُفْسِدِينَ فِي قَوْلِ نَبِيِّهِمْ: { رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ } [سُورَةُ
الْعَنْكَبُوتِ: 30].

وَسَمَّاهُمْ ظَالِمِينَ فِي قَوْلِ الْمَلَائِكَةِ لِإِبْرَاهِيمَ: { إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ
أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ } [سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ: 31].

فَتَأَمَّلْ مَنْ عُوِقِبَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْعُقُوبَاتِ، وَمَنْ ذَمَّهُ اللَّهُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْمَذَمَّاتِ، وَلَمَّا

جَادَلَ فِيهِمْ خَلِيلُهُ إِبْرَاهِيمُ الْمَلَأَيْكَةَ، وَقَدْ أَخْبَرُوهُ بِإِهْلَاكِهِمْ قِيلَ لَهُ: {يَا إِبْرَاهِيمُ
أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ} [سُورَةُ
هُودٍ: 76].

وَتَأَمَّلْ خُبْتَ اللُّوطِيَّةِ وَفَرَطَ تَمَرُّدِهِمْ عَلَى اللَّهِ حَيْثُ جَاءُوا نَبِيَّهُمْ لُوطًا لَمَّا سَمِعُوا
بِأَنَّهُ قَدْ طَرَقَهُ أَضْيَافٌ هُمْ مِنْ أَحْسَنِ الْبَشَرِ صُورًا، فَأَقْبَلَ اللُّوطِيَّةَ إِلَيْهِمْ
يُهْرَوِلُونَ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ قَالَ لَهُمْ: {يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ} [سُورَةُ هُودٍ:
78].

فَفَدَى أَضْيَافَهُ بِنَاتِهِ يَزُوجُهُمْ بِهِمْ خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ وَأَضْيَافِهِ مِنَ الْعَارِ الشَّدِيدِ،
فَقَالَ: {يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِي فِي ضَيْفِي
أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ} ، فَرَدُّوا عَلَيْهِ، وَلَكِنْ رَدَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ: {لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا
فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ} [سُورَةُ هُودٍ: 79].

فَنَفَتْ نَبِيُّ اللَّهِ مِنْهُ نَفْثَةَ مَصْدُورٍ خَرَجَتْ مِنْ قَلْبٍ مَكْرُوبٍ، فَقَالَ: {لَوْ أَنَّ لِي
بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ} فَنَفَسَ لَهُ رُسُلُ اللَّهِ عَنْ حَقِيقَةِ الْحَالِ، وَأَعْلَمُوهُ
أَنَّهُمْ مِمَّنْ لَيْسُوا يُوَصَّلُ إِلَيْهِمْ، وَلَا إِلَيْهِ بِسَبَبِهِمْ، فَلَا تَخَفْ مِنْهُمْ، وَلَا تَعْبَأْ بِهِمْ،
وَهَوْنٌ عَلَيْكَ، فَقَالُوا: {يَال لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ} وَبَشَّرُوهُ بِمَا جَاءُوا
بِهِ مِنَ الْوَعْدِ لَهُ وَلِقَوْمِهِ مِنَ الْوَعِيدِ الْمُصِيبِ فَقَالُوا: {فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ
الَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ
الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ} [سُورَةُ هُودٍ: 81].

فَاسْتَبْطَأَ نَبِيُّ اللَّهِ مَوْعِدَ هَلَاكِهِمْ، وَقَالَ: أُرِيدُ أَعْجَلَ مِنْ هَذَا، فَقَالَتِ الْمَلَأَيْكَةُ:
{أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ} فَوَاللَّهِ مَا كَانَ بَيْنَ إِهْلَاكِ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَنَجَاةِ نَبِيِّهِ وَأَوْلِيَائِهِ
إِلَّا مَا بَيْنَ السَّحْرِ وَطُلُوعِ الْفَجْرِ، وَإِذَا بَدِيَارِهِمْ قَدْ اقْتُلَعَتْ مِنْ أَصْلِهَا، وَرُفِعَتْ
نَحْوَ السَّمَاءِ حَتَّى سَمِعَتِ الْمَلَأَيْكَةُ نُبَاحَ الْكِلَابِ وَنَهَيْقَ الْحَمِيرِ، فَبَرَزَ الْمَرْسُومُ
الَّذِي لَا يُرَدُّ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ الْجَلِيلِ، إِلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ جِبْرَائِيلَ، بِأَنَّ قَلْبَهَا عَلَيْهِمْ

كَمَا أَخْبَرَ بِهِ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا
عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ} [سُورَةُ هُودٍ: 82] فَجَعَلَهُمْ آيَةً
لِلْعَالَمِينَ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ، وَنَكَالًا وَسَلْفًا لِمَنْ شَارَكَهُمْ فِي أَعْمَالِهِمْ مِنْ
الْمُجْرِمِينَ، وَجَعَلَ دِيَارَهُمْ بَطْرِيقَ السَّالِكِينَ، {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ -
وَإِنَّهَا لِبِسْبِيلٍ مُّقِيمٍ - إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ} [سُورَةُ الْحَجَرِ: 75 - 77].

أَخَذَهُمْ عَلَى غِرَّةٍ وَهُمْ نَائِمُونَ، وَجَاءَهُمْ بِأَسُهُ وَهُمْ فِي سَكْرَتِهِمْ يَعْصَمُونَ، فَمَا
أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فَقَلَبْتَ تِلْكَ اللَّذَّةَ آلَامًا، فَأَصْبَحُوا بِهَا يُعَذَّبُونَ.
مَارِبٌ كَانَتْ فِي الْحَيَاةِ لِأَهْلِهَا... عَذَابًا فَصَارَتْ فِي الْمَمَاتِ عَذَابًا

ذَهَبَتِ اللَّذَاتُ وَأَعْقَبَتِ الْحَسَرَاتِ، وَأَنْقَضَتِ الشَّهَوَاتُ، وَأُورِثَتِ الشُّقُوتِ،
وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا، وَعَذَّبُوا طَوِيلًا، رَتَعُوا مَرْتَعًا وَخِيمًا فَأَعَقَبَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا،
أَسَكْرَتَهُمْ حَمْرَةً تِلْكَ الشَّهَوَاتِ، فَمَا اسْتَفَاقُوا مِنْهَا إِلَّا فِي دِيَارِ الْمُعَذِّبِينَ،
وَأَرْقَدَتْهُمْ تِلْكَ الْعَفْلَةُ، فَمَا اسْتَيْقَظُوا مِنْهَا إِلَّا وَهُمْ فِي مَنَازِلِ الْهَالِكِينَ، فَندِمُوا
وَاللَّهِ أَشَدَّ النَّدَامَةِ حِينَ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ، وَبَكَوْا عَلَى مَا أَسْلَفُوهُ بَدَلَ الدُّمُوعِ بِالدَّمِ،
فَلَوْ رَأَيْتَ الْأَعْلَى وَالْأَسْفَلَ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ، وَالنَّارَ تَخْرُجُ مِنْ مَنَافِذِ وُجُوهِهِمْ
وَأَبْدَانِهِمْ وَهُمْ بَيْنَ أَطْبَاقِ الْجَحِيمِ، وَهُمْ يَشْرَبُونَ بَدَلَ لَذِيذِ الشَّرَابِ كُؤُوسَ
الْحَمِيمِ، وَيُقَالُ لَهُمْ وَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ يُسْحَبُونَ: {ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ -
اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}
[سُورَةُ الطُّورِ: 16].

المصدر:

ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص 171

الكلمات المفتاحية:

تنويه: نشر مقال أو مقتطف معين لكاتب معين لا يعنى بالضرورة تزكية الكاتب أو تبني جميع أفكاره.

<https://murabet.com>